المذمومة وتبديلها بالمحمودة فانهم يتبجحون بذكره ويسمونه التشويق وكلام الوعاظ وانما التحقيق
عندهم معرفة تفاصيل العربدة التي تجري بين المتنازعين من الجهال وهيهات قد جمعوا اخبث الذي
من قبلهم في علم الفتاوى ولكن زادوا اذ اشتغلوا بما ليس من فرض الكفاية ايضا بل جميع دقائق
الجدل في الفقه بدعة لم يعرفها السلف فاما ادلة الاحكام فيشتمل عليها علم المذهب وهو كتاب الله
وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وفهم معانيهما واما حيل الجدل من الكسر والقلب وفساد الوضع و
التركيب والتعدية فانما ابدع لاظهار الغلبة والافحام واقامة سوق الجدل به فغرورهم اكثر و
اشد كثيرا واقبح من غرور من قبلهم وفرقة اخرى اشتغلوا بعلم الكلام والمجادلة في الاهوا
والرد على المخالفين وتتبع مناقضاتهم واستكثروا من معرفة المقالات المختلفة وافترقوا في ذلك
فرقا كثيرة واعتقدوا انه لا يكون لعبد عمل الا بايمان ولا يصح ايمان الا بان يتعلم جدلهم وما يسمونه
ادلة عقائدهم وظنوا انه لا احد اعرف بالله وبصفاته منهم وانه لا ايمان لمن لا يعتقد مذهبهم
ويتعلم علمهم ودعت كل فرقة منهم الى نفسها ثم هم فرقتان ضالة ومحقة فالضالة هي التي تدعو
الى غير السنة والمحقة هي التي تدعو الى السنة والغرور شامل لجميعهم اما الضالة فلغفلتها
عن ضلالها وظنها بنفسها النجاة وهم فرق كثيرة يكفر بعضهم بعضا وانما اتيت من حيث
انها لم تتهم رايها ولم تحكم اولا شروط الادلة ومنهاجها فرات الشبهة دليلا والدليل شبهة
وتخييلا واما الفرقة المحقة فانما اغترارها من حيث ظنت ان الجدل اهم الامور وافضل القربات
في دين الله تعالى وزعمت انه لا يتم لاحد دينه ما لم يفحص ويبحث وان من صدق الله ورسوله
من غير بحث وتحرير دليل فليس بمؤمن او ليس بكامل الايمان ولهذا الظن الفاسد قطعت اعمارها
في تعلم الجدل والبحث عن المقالات وهذيانات المبتدعة ومناقضاتهم فاهملت عيوب
نفوسها وقلوبها حتى عميت عليها ذنوبها وخطاياها الظاهرة والباطنة وهي تظن ان
اشتغالها بالجدل اولى واقرب عند الله ولكنها لالتذاذها بالغلبة والافحام وعز الرياسة
عميت بصيرتها ولم تلتفت الى القرن الاول وان النبي صلى الله عليه وسلم شهد لهم بانهم خير الخلق
وقد ادركوا كثيرا من اهل البدع والاهوا فما جعلوا اعمارهم ودينهم غرضا للخصومات
والمجادلات وما اشتغلوا بذلك عن تفقد قلوبهم وجوارحهم واحوالهم بل لم يتكلموا فيه الا من حيث

رأوا حاجة وتوسموا مخايل قبول فذكروا بقدر الحاجة ما يدل الضال على ضلالته فاذا راوه
مصرا عليها هجروه واعرضوا عنه وابغضوه في الله ولم يلزموا الملاحاة معه طول العمر بل قالوا
ان الحق هو الدعوة الى السنة ومن السنة ترك الجدل في الدعوة الى السنة كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه الا اوتوا الجدل وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما
على الصحابة وهم يتجادلون ويختصمون فغضب عليهم حتى احمر وجهه من الغضب فقال
ابهذا امرتم ان تضربوا كتاب الله بعضه ببعض انظروا الى ما امرتم به فاعملوا وما نهيتم
عنه فانتهوا فقد زجرهم عن ذلك وكانوا احق خلق الله بالحجاج والجدال ثم انا نرى رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقد بعث الى كافة الخلق فلم يقعد معهم في مجلس مجادلة لالزام والحام وتحقيق حجة ودفع
سؤال وايراد الزام فما جادلهم الا بتلاوة القرآن المنزل عليه ولم يزد في المجادلة عليه لان
ذلك تشويش القلوب ويستخرج منها الاشكالات والشبه ثم لا يقدر على محوها من قلوبهم
وما كان يعجز عن مجادلتهم بالتقسيمات ودقائق الاقيسة وان يعلم اصحابه كيف الجدل
والالزام ولكن الاكياس واهل الحزم لم يغتروا بها وقالوا لو نجا اهل الارض وهلكنا لم تنفعنا
نجاتهم ولو نجونا وهلكوا لم يضرنا هلاكهم وليس علينا في المجادلة اكثر مما كان على الصحابة
مع اليهود والنصارى واهل الملل وما ضيعوا العمر بتحرير مجادلتهم فما لنا نضيع العمر
ولا نصرفه الى ما ينفعنا يوم فقرنا وفاقتنا ولم نخوض فيما لا نامن على انفسنا
الخطا في تفاصيله ثم نرى ان المبتدع ليس يترك بدعته بجداله بل يزيده التعصب
تشددا في بدعته واشتغالنا بمخاصمة انفسنا ومجادلتها ومجاهدتها لتترك الدنيا
للآخرة اولى بنا هذا لو كان لم نرد عن الجدل والخصومة فكيف وقد نهينا عن ذلك فكيف
ندعو الى السنة بترك السنة فالاولى بنا ان نتفقد انفسنا وننظر من صفاتها ما يبغضه
الله تعالى وما يحبه لنتنزه عما يبغضه ونتمسك بما يحبه وفرقة اخرى اشتغلوا
بالوعظ والتذكير واعلاهم رتبة من يتكلم في اخلاق النفس وصفات القلب من الخوف والرجا والصبر
والشكر والتوكل والزهد والاخلاص واليقين والصدق وهم مغرورون يظنون بانفسهم
اذا تكلموا بهذه الصفات ودعوا الخلق اليها انهم متصفون بها وهم منفكون عنها عند الله

منفكون
بيان

صلى الله عليه وسلم
صلى الله عليه وسلم
يعقد معهم مجلس
بة رضي الله عنهم

٧٣